

الرَّسَالَةُ ٩٥

تَلَذُّذٌ بِالرَّبِّ

(Arabic – Delight yourself in the Lord)

أَحِبَّائِي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: تَلَذُّذٌ بِالرَّبِّ

وَمِنْ الْمَزْمُورِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ نَقَرْنَا الْعَدَدَ الرَّابِعَ:

"تَلَذُّذٌ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ"^١.

إنَّ التَّلَذُّذَ بِالرَّبِّ لَا يَنْشَأُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ إِلَّا عِنْدَ الْإِنْضِمَامِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ. وَيَبْدَأُ حِينَ يُعْلَنُ الْمُؤْمِنُ مِلْكِيَّةَ الرَّبِّ الْكَامِلَةَ عَلَى حَيَاتِهِ.. وَتَنْمُو بِالْمَجَاهِرَةِ بِاسْمِهِ وَدَعْوَةِ الْنَفُوسِ الصَّالَةِ إِلَيْهِ لِلتَّلَذُّذِ بِعِشْرَتِهِ. وَالتَّلَذُّذُ بِالرَّبِّ يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَشْغَلُ فِكْرَهُ إِلَّا بِالسَّيْرِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ وَطَاعَةِ وَصَايَاهُ. فَلَا يَبْرُحُ مِنْ فَمِهِ كَلَامُ اللَّهِ الْحَيِّ بَلْ يَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلًا. وَلَا يَخْفِقُ قَلْبُهُ إِلَّا شَوْقًا لِمَحْضَرِهِ وَفَرَحًا بِلِقَائِهِ الْبَهِيحِ. وَلَا تَسْتَمْتِعُ عَيْنَاهُ إِلَّا بِالنَّقَرِ فِي جَلَالِ مَجْدِهِ الْبَهِيِّ. وَلَا يَتَعْنَى فَوَاضِيَهُ إِلَّا بِتَرْيِيدِ أَغْذَابِ الْأَغَانِي الرُّوحِيَّةِ تَسْبِيحًا وَتَمَجِيدًا لِتَذْبِيرِهِ السَّامِي لِلْغَفْرَانِ وَالْخَلَاصِ مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ. وَنِعْمَتِهِ الْمُتَفَاضِلَةَ الَّتِي نَقَلْتَهُ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ. وَمِنْ سُلْطَانِ إِبْلِيسَ لِيَتَلَذَّذَ بِمَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ.

وَبِنَاءِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ لَا بُدَّ مِنْ تَأْسِيسِهِ عَلَى ثَلَاثِ دُعَامَاتٍ هَامَةٍ. وَهِيَ سَلَامٌ اللَّهِ وَأَمَانُهُ وَتَأْيِيدُهُ مُشْجَعًا. بِدُونِهَا يَنْتَابُ الْإِنْسَانُ الْاضْطِرَابَ وَالْخَوْفَ وَعَدَمَ الْإِسْتِقْرَارِ. وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى تَدْعِيمِ نَفُوسِنَا بِهَذِهِ الدُّعَامَاتِ وَهِيَ السَّلَامُ وَالْأَمَانُ وَالتَّشْجِيعُ.. وَالْإِنْسَانُ الْبَعِيدُ عَنِ اللَّهِ يَبْحَثُ عَنْهَا عَسَاهُ يَحْصُلُ عَلَيْهَا مِنْ مَصَادِرٍ أُخْرَى.. وَإِبْلِيسُ يُغْذِي أَوْهَامَهُ فَيَجْرِي وَرَاءَهَا سَعْيًا فِي الْعَالَمِ.. وَأَكْذُوبَةُ إِبْلِيسَ الَّتِي يَقْنَعُ بِهَا الْجَاهِلِينَ أَنَّ الْمَالَ خَيْرٌ مُصَدَّرٌ لِلْأَمَانِ وَالسَّلَامِ وَالسَّعَادَةِ.. فَإِذَا تَوَفَّرَتِ الثَّرْوَةُ شَجَّعَهُمْ ذَلِكَ عَلَى بَدْلِ الْمَزِيدِ مِنَ الْجُهُودِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَالٍ أَوْفَرَ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِمَتَاعِ وَمَلَذَاتِ عَالَمِيَّةٍ أَكْثَرَ. وَإِذَا بِهِمْ يَقْعُونَ فَرِيْسَةَ لِحِيلِ عَدُوِّ مَآكِرَ لَا يَرْحَمُ. حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمٌ فِيهِ يَكْتَشِفُونَ أَنَّ الْمَالَ لَمْ يَحْقُقْ سُؤْلَ قُلُوبِهِمْ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ يَفَاجِئُونَ بِأَنَّهُ سِرٌّ تَعَاسَتَهُمْ وَشَقَائِهِمْ وَعَدَمَ شَعُورِهِمْ بِالْأَمَانِ.

لَا شَكَّ أَنَّ الْمَالَ نِعْمَةٌ وَلَكِنْ مَنْ شَاءَ أَنْ يُؤَسَّسَ وَيُنْبَى سَلَامُهُ وَأَمْنُهُ عَلَى الْمَالِ كَانَ عَلَيْهِ نِقْمَةٌ. فَبَعِيدًا عَنِ الرَّبِّ كُلِّ بِنَاءٍ يَنْبَغِي الْإِنْسَانُ هُوَ بِنَاءٌ عَلَى رَمَالٍ. كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ مَلِكًا تَوَفَّرَتْ لَهُ كُلُّ أَسْبَابِ الْغِنَى وَالْمَجْدِ الْعَالَمِيِّ فِي الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ. وَلَكِنْ فِيمَا كَتَبَ مِنْ مَزَامِيرِ يُؤَكِّدُ أَنْ لَا سَلَامَ وَلَا أَمَانَ إِنْ لَمْ يَكُنِ الرَّبُّ هُوَ الْمُوَسَّسُ وَالْبَانِي وَالْحَافِظُ.. فَلَقَدْ قَالَ فِي مَزْمُورِهِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ بَعْدَ الْمَائَةِ: "إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ فَبَاطِلًا يَتَعَبُّ الْبِنَاوُونَ. وَإِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ فَبَاطِلًا يَسْهَرُ الْحَارِسُ"^٢.

وَلِنَتَحَدَّثُ الْآنَ عَنِ تِلْكَ الدُّعَامَاتِ الثَّلَاثِ بِالِاسْتِعَانَةِ بِمَا جَاءَ عَنْهَا بِالْكِتَابِ الْمَقْدَسِ. إِنَّ السَّلَامَ هُوَ مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ الْقُدْسِ الْحَالِ فِي الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ كَمَا جَاءَ بِرِسَالَةِ بُولَسِ الرَّسُولِ إِلَى مُؤْمِنِي غَلَاطِيَّةِ. وَيُخَطِّئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ السَّلَامَ الْحَقِيقِيَّ بَعِيدًا عَنِ اللَّهِ.. إِذْ مَكْتُوبٌ عَنْ إِلَهِنَا أَنَّهُ: "إِلَهُ السَّلَامِ وَرَبِّ السَّلَامِ وَرَبِّيسُ السَّلَامِ وَمَلِكُ السَّلَامِ فَهُوَ سَلَامْنَا وَإِنْجِيلُهُ يُدْعَى إِنْجِيلُ السَّلَامِ وَطَرِيقُهُ هُوَ طَرِيقُ السَّلَامِ وَأَبْنَاءُ اللَّهِ هُمْ صَانِعُو السَّلَامِ وَالْمُبَشِّرُونَ بِهِ"^٣.. أَمَّا الْأَثْمَةُ وَالْفَجَارُ فَمَكْتُوبٌ عَنْهُمْ: أَنْ طَرِيقَ السَّلَامِ لَمْ يَعْرِفُوهُ.. لِأَنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَعْمَتَتْ عْيُونَهُمْ.. وَالسَّلَامُ الَّذِي هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ يَخْتَلِفُ عَنِ السَّلَامِ الَّذِي يُعْطِيهِ الْعَالَمُ.. فَلَقَدْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: "سَلَامًا أَتْرَكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطَى الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِبُ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَرْهَبُوا"^٤.. وَفِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ كَلَّمَ الرَّبُّ يَسُوعُ بَنَ نُونٍ قَائِلًا: "أَمَّا أَمْرَتُكَ؟ تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ لَا تَرْهَبْ وَلَا تَرْتَعِبْ. لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مَعَكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ"^٥.

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر المزمير ٣٧: ٤

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١٥: ٣٣ & ١٧: ١٥ & ١٥: ١٥، الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٢٠ & ٧: ٢، سفر إشعياء ٩: ٦

رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمني كورنثوس ١٣: ١١، رسالتنا بولس الأولى والثانية إلى مؤمني تسالونيكي ٥: ٢٣ & ٣: ١٦

رسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس ٢: ١٤ & ٦: ١٥، إنجيل لوقا ١: ٧٩، إنجيل متى ٥: ٩، إنجيل يوحنا ١٤: ٢٧

^٣ سفر يشوع ١: ٩

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّنَا نَعِيشُ فِي عَالَمٍ مُضْطَرِبٍ قَدْ وُضِعَ فِي الشَّرِيرِ. لَذَا يُشَجِّعُ الرَّبُّ أَوْلَادَهُ عَلَى الدَّوَامِ. وَنَجِدُ كَلِمَاتِ التَّشْجِيعِ هَذِهِ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ حَتَّى آخِرِ الْأَسْفَارِ وَهُوَ سَفَرُ الرُّؤْيَا. وَنَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ فِينَا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْطُو خَطْوَةَ دُونَ اسْتِنَادٍ عَلَى وَعْدٍ مِنْ وُعُودِ الرَّبِّ الْمُشْجَعَةِ الَّتِي يَقْبِضُ بِهَا الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ. مُوجَّهَةً إِلَى أَوْلَادِ اللَّهِ الْأَمْنَاءِ لِيَتَشَدَّدُوا بِهَا وَيَقْوُوا. وَبِالْمَزْمُورِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ يَقُولُ دَاوُدُ النَّبِيُّ: تَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ. لَقَدْ تَلَذَّذَ دَاوُدُ النَّبِيُّ بِالرَّبِّ وَنَلَمَسَ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَا كَتَبَ. وَيُسْعِدُنَا كَمُؤْمِنِينَ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ الرَّبَّ يَتَلَذَّذُ بِقَرْبِ أَوْلَادِهِ مِنْهُ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ لَذَا يَلذَّذُ قَلْبَ اللَّهِ اقْتِرَابًا مِنْهُ. وَيُسَجِّلُ سَفَرُ الْأَمْثَالِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَنِ الْهِنَّا الْمُحِبِّ لَنَا: وَلذَاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ. فَإِنْ كَانَ أَمْرًا طَبِيعِيًّا أَنْ اللَّهَ يَتَلَذَّذُ مَعَ أَوْلَادِهِ. فَمَاذَا يَعُوقُنَا وَيُعْطِلُنَا عَنِ تَلذَّذِ دَائِمٍ وَتَمَتُّعِ مُسْتَمِرٍّ بِهَذِهِ الْعَلَاقَةِ وَهِيَ تَتَّفَقُ مَعَ مَشِيئَةِ اللَّهِ السَّامِيَةِ؟! إِنْ إِبْلِيسُ يَضَعُ تِلْكَ الْعَوَائِقَ وَالْمُعْطَلَاتِ. وَلذَلِكَ يَفْتَقِدُ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ لَذَّةَ الشَّرِكَةِ الْبَهِيجَةِ مَعَ شَخْصِ الرَّبِّ الْمُبَارَكِ الْمُحِبِّ^١. وَنَذَكُرُ مِنْ تِلْكَ الْعَوَائِقِ ثَلَاثَةً:

أولاً: عَدَمُ تَصْفِيَةِ الْحِسَابَاتِ أَوْلاً بِأُولَى.. لَقَدْ وَعَدَنَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ بِسَلَامِهِ. وَلَكِنْ يَسْتَحِيلُ الْحُصُولُ عَلَى سَلَامِ اللَّهِ وَهَذَا فِي قُلُوبِنَا لَا تَزَالُ خَطِيئَةٌ لَمْ نَعْتَرَفْ بِهَا. إِذْ كَيْفَ نَتَلَذَّذُ بِعِشْرَةٍ مَعَ اللَّهِ وَنَحْنُ قَدْ اخْتَرْنَا طَرِيقًا آخَرَ لَيْسَتْ طَرِيقُهُ؟! وَلَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يُوْجَدُ رَجَاءٌ لِمَنْ أَسَاءَ الْإِخْتِيَارَ. إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يُعَلِّنُ حَقِيقَتَيْنِ أُسَاسِيَّتَيْنِ الْأُولَى: أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا وَيَنْتَظِرُ عَوْدَتَنَا إِلَيْهِ لِأَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ. وَالحَقِيقَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ دَمَ الْمَسِيحِ يَطْهَرُ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ. أُخَى يَا مَنْ فَقدَتْ سَلَامَكَ مَعَ اللَّهِ. تَعَالَى إِلَيْهِ الْآنَ مُسْتَدَاً عَلَى مَحَبَّةِ الْآبِ السَّمَاوِيِّ وَفَاعِلِيَّةِ دَمِ ابْنِ اللَّهِ الْمَسْفُوكِ مِنْ أَجْلِكَ عَلَى الصَّلِيبِ سَتَحْصُلُ عَلَى سَلَامِهِ وَأَمَانِهِ وَتَشْجِيعِهِ. سَتَتَلَذَّذُ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ^٢.

ثانياً: التَّمَسُّكُ بِرِّي ذَاتِي وَالِاسْتِنَادُ عَلَى أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ.. وَهَذَا خَطَأٌ يَقَعُ فِيهِ كَثِيرُونَ. ظَنَّا مِنْهُمْ أَنَّهُ بِهَا يَسْتَحِقُونَ عَفْوَ وَرِضَاءَهُ. فَهَلْ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ فِي جَرِيْمَةٍ قَتْلٍ أَنْ يَقْدِمَ مُسْتَدَاتٍ وَوَتَائِقَ لِأَعْمَالٍ بَرٍّ وَإِحْسَانٍ قَامَ بِهَا طَوَالَ سِنَى حَيَاتِهِ كَيْ يَعْفِيهِ الْقَاضِي مِنْ حُكْمِ الْإِعْدَامِ؟! سَيَقُولُ الْقَاضِي: إِنْ مَا صَنَعْتَ مِنْ خَيْرٍ وَاجِبٍ مَفْرُوضٍ عَلَيْكَ وَتَشْكُرُ مِنْ أَجْلِهِ أَمَا حُكْمُ الْإِعْدَامِ فَهُوَ جَزَاؤُكَ الْعَادِلُ لِمَا اقْتَرَفْتَ! إِنْ الْقَاضِي الْبَشَرِيُّ لَا يَنْخَرِعُ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ فَكَيْفَ نَظُنُّ أَنَّنَا بِهَا نَخْدَعُ اللَّهَ؟! مَا جَاءَ الْمَسِيحُ إِلَّا لِخَلَاصِنَا. فَإِذَا كَانَ بَرْتًا يُغْنِينَا عَنْ بَرِّهِ وَالْخَلَاصِ بِدَمِهِ.. مَا جَاءَ الْمَسِيحُ!. قَالَ بُولَسُ الرَّسُولُ: "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قَبُولِ أَنَّ الْمَسِيحَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا". أُخَى. تَعَالَى إِلَيْهِ مُتَضِعًا. وَتَلذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ^٣.

ثالثاً: عَدَمُ الْإِتِمَارِ لِتَوَاجِدِنَا كُنْبَاتَاتُ زِينَةٍ فِي الْكِنَائِسِ وَلَكِنْ بِلَا ثَمَرٍ.. لَا يَتَوَقَّعُ عَامِلٌ فِي أَحَدِ الْمَصَانِعِ أَنْ يَجِدَ مِنْ مُدِيرِ الْمَصْنَعِ تَشْجِيعًا لَهُ وَهُوَ كَسُؤْلٌ لَا يَنْتُجُ.. إِنْ أَعْضَاءَ الْكِنَائِسِ فَرِيقَانِ الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ: نَسْبَهُهُ بِالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ.. فَهُمْ يَسْعُونَ إِلَى النُّفُوسِ الصَّالَةِ مُقَدِّمِينَ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ لَهُمْ عَنِ الْخَلَاصِ الْمَجَانِيِّ وَالتَّزْيِينِ بِالنَّعْمَةِ.. وَالفَرِيقُ الثَّانِي: نَسْبَهُهُ بِالْأَشْجَارِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ نَبَاتَاتُ زِينَةٍ فِي الْكِنَائِسِ وَلَكِنْ بِلَا ثَمَرٍ. وَلِلْأَسَفِ أَشْجَارُ الزَّيْنَةِ فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ هُمْ سَبَبُ مَشَاكِلِهَا. أَمَا الَّذِينَ هُمْ أَشْجَارٌ مُثْمِرَةٌ مَشْغُولُونَ بِالْعَمَلِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ. مِثَالُهُمُ الرَّبُّ يَسُوعُ.. الَّذِي "كَانَ يَجُولُ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمَتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسَ".. تَرَى الرَّبَّ يَسُوعَ عِنْدَ الْبُنْرِ يَكْلُمُ السَّامِرِيَّةَ وَيَقُودُهَا لِلْعِبَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.. وَعِنْدَ الْجُمُيْزَةِ تَرَاهُ يَدْعُو زَكَا الْعَشَّارَ لِلْخَلَاصِ.. وَعَلَى فَارَعَةَ الطَّرِيقِ تَرَاهُ مَعَ شَحَاذِ يَدْعَى بَارْتِيمَاوُسَ.. فِي بَيْتِ الْفَرِيسِيِّ وَفِي بَيْتِ الْعَشَّارِ تَرَاهُ.. بِالْخِدْمَةِ الْمُثْمِرَةِ نَتَلذَّذُ بِالرَّبِّ فَيُعْطِينَا سُؤْلَ قُلُوبِنَا^٤.

أَدْعُوكَ أُخَى لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَيَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ سَلَامِكَ الْعَجِيبِ الَّذِي غَمَّرَ قَلْبِي.. أَشْكُرُكَ فَأَنْتَ قَائِدِي الْمَشْجَعُ.. هَبْنِي أَنْ أَكُونَ مُثْمِرًا لِمَجْدِكَ وَامْتِدَادِ مَلَكُوتِكَ.. فِي اسْتِحْقَاقِ دَمِ الْمَسِيحِ الْمَسْفُوكِ مِنْ أَجْلِ أَرْفَعُ صَلَاتِي.. وَاتَّقَا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ يَا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ لَا أَخْرُجُهُ خَارِجًا.

أُخَى الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^٢ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٥: ١٩ ، سفر المزمير ٣٧: ٤ ، سفر الأمثال ٨: ٣١

^٣ سفر إشعياء ١: ١١ - ٢٠ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٦ - ١٠ & ٢: ١ - ٢ ، سفر أخبار الأيام الثاني ٧: ١٤

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٣: ٧ - ١٢ ، سفر أعمال الرسل ١٠: ٣٨ ، الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٥ - ١٧

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨ ، إنجيل يوحنا ٤: ٢٣ ، إنجيل لوقا ١٩: ٥ - ١٠ & ٧: ٣٦ ، إنجيل مرقس ١٠: ٤٦